

تحليل الفلسفة اللغوية في الآية الرابعة من سورة «محمد»

(في ضوء نظرية الدور الهرمينوطيقي لشلاير ماخر)

روح الله صيادي نژاد*^١، علي نجفي أيوكي^٢، كيميا فتحي^٣

١. أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كاشان

٢. أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كاشان

٣. طالبة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة كاشان

تاريخ استلام البحث: ١٣٩٨/٠٢/١٠ تاريخ قبول البحث: ١٣٩٨/١٠/٢٩

الملخص

إنّ توظيف النظريات الفلسفية في تحليل الفلسفة اللغوية وتطبيقها هو خطوة جديدة في اكتشاف الطبقات الخفية من المعاني؛ هذا وإنّ الهرمينوطيقا بوصفها إحدى فروع تفسير المعنى، تشتمل على مفهوم الدور الهرمينوطيقي واكتشاف المعاني الخفية. ومن جملة الذين قاموا باستخدام هذا الأسلوب لإزالة موانع الفهم اللغوي هو فشلاير ماخر. لذلك يحاول هذا البحث باتباع المنهج التحليلي-التأويلي أن يقوم بتبيين نظرية الدور الهرمينوطيقي لشلاير ماخر ثم تطبيقها على الآية الرابعة من سورة محمد. هذه الدراسة تبيّن أنّ نظرية شلاير ماخر لها فاعلية في إزالة الشبهات المطروحة حول التصوُّص الدينية والمقدّسة كالقرآن الكريم وخاصة في الآية المدروسة. فالدور الهرمينوطيقي أو الدور الكلبي المستنبط من الدور الجزئي أي طرق الله لإثبات ماهية المنافقين، يخالف فكرة الإرهاب والعنف في الإسلام. وبالنسبة إلى معرفة صاحب كلام الوحي وفهمه الزماني والمكاني، يمكن القول بأنّ ذكر صفات الولي والغني في هذه الآية دالّ على أنّ الله، منزّه عن نسبة أيّ عنفٍ وعنادٍ تجاه المنافقين مع عدم الدلالة الظاهرية للعبارتين «ضرب الرقاب» و«شدّ الوثاق». من خلال التفسير النحوي والنفسي لهذه الآية، لم يُصرّح بالفعل المذكور في كلامه الجهادي لأول مرة نتيجة لإمكان العفو والتسامح على خطأهم في القصور عن الرجوع إلى الإسلام، ولكن في العبارة الثانية وهي «شدوا الوثاق»، يُصرّح بالفعل بعد أن أتاح لهم الفرصة. أيضاً تبيّن لنا أنّ الجرجاني كانت له نتفات من هذا الأسلوب في نظريته الموسومة بالتنظيم.

الكلمات الرئيسية: سورة محمد، الفلسفة اللغوية، المنافقين، الدور الهرمينوطيقي، شلاير ماخر.

المقدمة

إنّ فلسفة تحليل اللّغة^١ هي من علوم اللّغة الحديثة التي تحاول تحديد التّصوُّص المختلفة وتحليلها من خلال الدراسات اللغويّة للنص وتحليل فلسفتها اللغويّة المتأفزيقيّة. أهميّة تحليل فلسفة اللّغة^٢ إلى حدّ أن فيتجنشتاين^٣ العالم اللغويّ الشهير، يعتبر اللّغة وتحليلها الدقيق عنصراً رئيساً للكون كما يعتبر الفلسفة نشاطاً حاسماً مهمّتها هي توضيح الأفكار المتأفزيقيّة (Malcolm, 1997: 291)؛ من الواضح أنّ دراسة فلسفة اللّغة المعاصرة والتعميق في الأفكار والأعمال الأدبية والفلسفيّة، تقودنا إلى التعرّف على عمق المعاني والأفكار الداخليّة لتكلمها. من الجدير بالذّكر أنّ في تحليل الفلسفة اللغويّة قضايا خاصة لا يمكن معرفتها من خلال دراسة اللّغة الطبيعيّة، واكتساب المعرفة حولها يقتضي حججاً عقليّة يبرهن بها؛ هذه القضايا تُعرف في مجال علم اللّغة من الفلسفة التحليليّة بالقضايا المتأفزيقيّة^٤ (عبدالديع، ١٩٩٧: ٧).

إنّ للنظريّات اللغويّة الجديدة أثراً بالغاً في تمييز المعاني المقصودة من قبل صاحبها وإثماً تساعد المتلقّي على تحديد الأغراض المتوخّاة في النّصوص؛ فإحدى طرق التّحليل أو تمييز هذه القضايا هي طريقة التحليل الهرمينوطيقي^٥ وهي في الواقع تسعى للقضاء على الغموض الموجودة في النصوص المتعدّدة كحلّ علميّ في مجال التطبيق اللغويّ الجديد (كاظمي، ١٣٧٤: ٥٦؛ خلفي، ٢٠١٠: ٦٢-٦٤). كما أنّ هابرماس الفيلسوف الكبير في فلسفة العلم، يشير إلى أهمّيّتها ويعتقد بأنّ «عمليّة التحليل الهرمينوطيقيّ عنصراً فعّالاً في ربط آفاق الفكر وإقامة الحوارات ومخادّاتنا مع عالم آخر وإدراك غاية المعنى المقصود» (١٣٧٥ ش: ٨٨).

والحق أنّ مصدر فكرة الهرمينوطيقا لم يكن في الغرب فحسب، بل تظهر الشواهد العلميّة بأنّ

١ . Philosophy of Language

٢ . Analytical Philosophy of Language

٣ . Wittgenstein

٤ . Metaphysical theorems

٥ . راجع كتاب رشوان محمد مهران (دراسات في فلسفة اللّغة، الكويت: دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨، صص ٦٧-

٩٠).

٦ . Hermeneutical analysis

هذه الحركة كانت متوافرة في الفكرة الإسلامية العربية أيضاً؛ فالمفكر المصري نصر حامد أبو زيد هو من هؤلاء الذين كرسوا جهودهم الفكرية وأبحاثهم العلمية في تقديم تصوّراتهم لصياغة منظومة منفتحة تقدّس العقل وتحترم التعددية وتنشد الخير وتحافظ على الحرية والعدل والكرامة الإنسانية؛ من ثم قام أبو زيد بتقديم مشروع تأويلي يعادل الهرمونيقيًا إلى حدّ يلخّص إلى صيغة تصل إلى التراث الديني، بكلّ عناصره ومستوياته، بلحظة العيش الراهنة الآن وكذلك بالمستقبل (أبو زيد، ٢٠١٤: ٤).

١. إشكالية البحث

إنّ معاندي الإسلام يعتمدون عادةً على التفسير السطحي من القرآن وخاصة الآية الرابعة من سورة محمد ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَنتَحِثُّمُوهُم فَشَدُّوا الوُتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الحَرْبُ أَوَّارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللّهُ لَآتَنَتَّصَرَ مِنْهُم وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَاهُمْ﴾؛ ويدعون بأنّ الإسلام دين الإرهاب وفيه العناد والعنف متمسكين بهذه الآية على تكدير وجه الدين الإسلامي (حسينى همدانى، ١٣٨٠: ٥١٤). وهذا من جملة الشبهات الخاصة التي تؤخذ من ظاهر القرآن الكريم الذي طالما كان معارضاً مع الأعمال العنيفة ضد جماعة الكفار والمرتدين بسبب إمكان إصلاحهم والرجوع إلى الإسلام. وكما نعلم أنّ القرآن الكريم نصّ لغويّ ويمكن أنّ نصف النصّ اللغويّ بأنّه في معرض الشبهات المختلفة. فعلى هذا، رسالتنا الهامة أن نوجّه التفاعل الإنساني لإزالة موانع الفهم اللغوي الصحيح وتكوين نظام دلالي دقيق من أجل إدراك وجوه المعاني المتأفيريقيّة؛ وهي كما يُقال التركيز على مفهوم النصّ والبحث عن ماهية النصوص الدينيّة ولاسيما الآيات القرآنيّة واتّخاذ أسلوب منطقي لتفسير الكلام السماويّ في الهرمونيقيًا أو نظريّة التأويل (أبو زيد، ٢٠١٤: ٧). إنّ شلاير ماخر^٢ هو أوّل عالم لغويّ في أوروبا قام باتّخاذ منهج منطقي هرمنوطيقي لفهم النصوص المختلفة وخاصة النصوص الدينيّة التي اتّسعت فيها دائرة المعاني المتأفيريقيّة، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يرى هذا الهرمنوطيقي أنّ قراءة النصوص فنّ وأنّ على قارئ النصّ أن يكون فنّاناً بنفس القدر الذي يكون عليه كاتب النصّ؛ بمعنى آخر القراءة فعل إبداعي كما هي الكتابة أيضاً والمفاوضات هي

^١ . سورة محمد، الآية: ٤.

^٢ . Schleiermacher

التي تحصل بين النصّ والقارئ (نيكوي، ١٣٨٦: ٤٣). هذا لا يعني أنّ شلاير ماخر يصرّ على أنّ القارئ سيصل إلى استنتاجات نهائية مريحة تكون علامة على انتهاء عملية القراءة، بل على العكس من ذلك وكما يقول هو نفسه «إنّ مهمّة الهرمنوطيقا تتغيّر بالاستمرار وأنّ التفسيرات كلها تحثّ على السعي لتحصيل الروى الجديدة وعلى الدخول في المحادثات الجديدة» (كوزنزهوى، ١٣٧١: ١٦)؛ أي أنّ الدخول في وادي الهرمنوطيقا هو بداية الحركة لفهم المعاني المغلقة والممتبسة، كما سيُفتح مجالاً واسعاً أمام التفكير والحركة العقلانية نحو تعمق المعاني.

ويلزم في الهرمنوطيقا أن لا تكون قيمة للكلمة خارج سياق النصّ، وللسياق أهمية بارزة في التحليل اللغوي للنصوص خاصة التحليل الهرمنوطيقي؛ يشير فندريس إلى هذه الأهمية قائلاً: «الذي يعبّر قيمة الكلمة في الهرمنوطيقا هو السياق؛ إذ أنّ الكلمة توجد في كلّ مرّة تستعمل فيها في جوّ يحدّد معناها تحديداً مؤقتاً والّسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على كلمة توجد في كلّ مرّة تستعمل فيها في جوّ يحدّد معناها تحديداً مؤقتاً» (١٩٥٠: ٢٣٩).

٢-١. منهج البحث

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج التحليلي- التأويلي بصفته منهجاً يعين الباحثين على تناول فلسفة لغة القرآن خاصّة في نصوصه المواجهة للشبهة.

٣-١. أسئلة البحث

الدراسة هذه تحاول أن تجيب عن السؤالين التاليين:

١. كيف يمكن تحليل الفلسفة اللغوية للآية الرابعة من سورة محمد بالنسبة لفهم الدور بين الجزء والكلّ في الدور الهرمنوطيقي؟

٢. كيف يمكن تحليل الفلسفة اللغوية للآية المعنية في هذا الدور بالنسبة لفهم شخصية المؤلف وفهمها الزماني والمكاني؟

٤-١. فرضيات البحث

بالنسبة إلى السؤال الأول ومع التركيز على أسلوب الدور الهرمنوطيقي يُفترض أنّ التعلّقات بين الجزء والكلّ تحرك حركة العقل من الجزء إلى الكلّ في هذه الآية، ومن ثم يعود إلى الجزء ويظهر فهم جديد منها، ويتطوّر الفهم إلى حيث لا يضاف معنى جديد إلى الكلّ بعد هذا التحوّل

والدور الهرمينوطيقي مع بنية كلّ النصّ وأجزائه. والفرضية الثانية هي أنّ معرفة شخصيّة خالق القرآن وفهمه الزماني والمكاني والتفسير النحوي والنفسي هي عنصر رئيس في تحليل الفلسفة اللغوية لهذه الآية وردّ الشبهات الواردة عليها؛ بتعبير آخر إنّ الذهن ينتقل من خلال هذا الدور المتبادل ودائريّة الفهم إلى المقصود الرئيس في هذه الآية وتحلّل الفلسفة اللغوية فيها.

٥-١. خلفية البحث

هناك مقالات كثيرة تقوم بدراسة قضيّة الهرمينوطيقا والدور الهرمينوطيقي وأساليب الهرمينوطيقا في اللّغة، لكنّ لا توجد مقالة تتطرّق إلى تطبيق النظريّات اللغويّة الحديثة ودراستها نظراً لصعوبة الأمر وغموض القضايا اللغويّة. هذا وإنّ لنصر حامد أبي زيد (٢٠٠١)، دراسة تحت عنوان «إشكاليات القراءة وآليات التأمل»، وفي مجال الدور الهرمينوطيقي لشلاير ماخر وماهيتتها مقال باسم «مقدّمة على الهرمينوطيقا وأنواعها». كما هناك مقالة لجورج غادامير (٢٠٠٦)، ترجمة محمد شوقي الزين المعنونة بـ «فلسفة التأويل: الأصول، المبادئ والأهداف»، ومقالة لعادل مصطفى (٢٠٠٧) باسم «فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنوطيقا»، ومقالة لفيدوح (٢٠١٣) تحت عنوان «نظريّة التأويل في الفكر العربي»، ولحسين غريب (٢٠١٥) مقالة باسم «تأويلية فريدريك شلاير ماخر والبحث عن الحقائق المضمرّة في النصوص»، حيث لم يشر أي باحث في دراسته إلى الدور الهرمينوطيقي إشارة وافية، كما تحلّو دراساتهم من أيّ تطبيق للنصوص الدينيّة أو غير الدينيّة.

أيضاً هناك دراسات أخرى كدراسة فريدريك شلاير ماخر (٢٠١٧) تحت عنوان «عن الدين؛ خطابات لمحتقره من المثقّفين»، وللموسوي (١٣٨٦) دراسة معنونة بـ «مقدّمة على الهرمينوطيقا وأنواعها»، حيث يعتمد فيها الدارس على تبين الهرمينوطيقا وتفكيك أنواعها، ودراسة محمد بهرامي (١٣٨٩) موسومة بـ «دور هرمنوتيكي در نگاه هرمنوتيسستها وتفسيرگران قرآن»، ومقالة لمشكاني سيزواري وزملائه (١٣٩٣)، تحت عنوان «دور هرمنوتيكي لشلاير ماخر»، حيث يبحثون فيها عن ماهيّة الدور الهرمينوطيقي وبنويّتها عند شلاير ماخر؛ فقد استفدنا من مفادها حيث أنّها ترتبط بالنظريّة العلميّة التي نعلم عليها في هذه المقالة؛ ولو خلت من أيّ تطبيق للنصوص الدينيّة تطبيقاً عمليّاً. وأيضاً هناك مقالة لواعظي وقاعدي (١٣٩٣) موسومة بـ «المستويّات، المكوّنات والوظائف للدور الهرمينوطيقي»، وقد قام الباحثان بدراسة الميّزات الهامّة لنظريّة الدور الهرمينوطيقي وتبيين أصولها، وإن لا يهتم الباحثان بتطبيق هذه النظريّة للنصوص المختلفة، ولم

يشير فيها إلى الموضوع الذي نقصده من وراء هذا البحث. وهكذا نظراً لأهمية الموضوع ورداً على الشبهات الموجودة في هذا المجال، قمنا بدراسة وتحليل الفلسفة اللغوية المتأفزيقية لكلام الله سبحانه في الآية الرابعة من سورة محمد تطبيقاً لنظرية الدور الهرمينوطيقي لشلاير ماخر الفيلسوف اللغوي الشهير.

٢. البحث

لا يمكن فهم النظام الدلالي في النصوص من خلال فهمها اللغوي السطحي فحسب، بل يمكن إدراك المعاني غير الجلية والمغلقة أو المتأفزيقية خلال التجاوز للحدود الصرفية والنحوية واللغوية؛ كما ينبه الجاحظ أيضاً على أنّ هناك مستوى أعمق في اللغة من المستوى التركيبي الظاهري الذي يتمثل في الألفاظ والتراكيب وهو شيء أعمق في أداء الدلالة أو في فهمها من الألفاظ، والصرف والنحو وقد ينتمي إلى علم اللغة وإن لا يراع هذا الأصل، يسبب الفهم الخاطئ للمتلقي (الجاحظ، ١٩٦٥: ٧٥).

إنّ إحدى الطرق التي يعتمد عليها شلاير ماخر لتفسير النصوص المختلفة خاصة النصوص الدينية هي الدور الهرمونوتيكي أو دائرية الفهم؛ إذ به يمكن إزالة الشبهات الموجودة والغوص في باطن النصّ (Schleiermacher, 1838: 34). وأشار إليه ماخر خلال نظريته بأنّ فهم الكل يمكن بفهم الجزء وفهم الجزء يمكن بفهم الكل. ووضع نظريته في إطار منسجم جامع تحت عنوان «نظرية الدور الهرمينوطيقي» ويجد فيها بدءاً لحلّ الموانع اللغوية التي تؤدّي إلى مفاسد واستدلالات سطحية من النصّ. إنّ الأصول الثلاثة التي يضعها ماخر لفهم النصوص المتشبهة والمغلقة وتحليل فلسفتها اللغوية هي فهم دور الجزء والكل في الساحة اللغوية لهذه النصوص، وفهم شخصية المؤلف وفهمها الزماني والمكاني، وفهم الدور بين منهجي التفسير النحوي والنحوي (السابق: ١٥٤-١٥٨). وهذا ما نعتمد عليه في تحليلنا للفلسفة اللغوية المتأفزيقية الموجودة في هذه الآية ونضع أساس دراستنا على ثلاثة المحاور وهي فهم دور الجزء والكل في الساحة اللغوية للنصوص الدينية، فهم شخصية المؤلف وفهمها الزماني والمكاني، وفهم الدور بين منهجي التفسير النحوي والنحوي.

١-٢. فهم دور الجزء والكل في الساحة اللغوية للنصوص الدينية

في نظرية الدور الهرمينوطيقي لشلاير ماخر يمكن لنا فهم كل كلمة وجملة من خلال العلاقة مع مجموعات لغوية أكبر؛ على سبيل المثال لا يمكننا إصدار الحكم على مقصود المتكلم مع جملة واحدة بغض النظر عن كل الجمل، ومن ناحية أخرى فإنّ الفهم العام للنصوص الدينية يعتمد على فهم الجمل بأسرها؛ ومن الواضح أنّ فهم تلك المجموعات الكبرى لا يتحقق إلا من خلال فهم أجزائها (السابق: ١٢١). كما يبدو أنّ هذه التعلقات بين الجزء والكل تحرك العقل من الجزء إلى الكل، ثم يعود إلى الجزء وينتج فهم جديد منه، ونتيجة للفهم الجديد من الكل، يتطور الفهم إلى حيث لا يضاف معنى جديد إلى الكل بعد هذا التحوّل والدور الهرمينوطيقي (ريكور، ١٣٧٣ ش: ٤٣).

إذن لا يمكن الفهم الصحيح من النص الديني دون النظر في بنية كل النص وأجزائه؛ من ثمّ يتم فهم الدور الهرمينوطيقي في نظريته عبر فهم الجزء والكل وهذا ما يقرب ذهن المتلقي أو قارئ النص إلى المفهوم الأصلي المقصود من إتيان النص. وفي هذه الحالة إذا نكتف بظواهر الأمر دون انتقال ذهننا من الجزء إلى الكل أو من الكل إلى الجزء، لا تتم عملية فهم النص. كما نعلم أنّ الآية الرابعة من سورة محمد من الآيات التي نحتاج في فهم معناها إلى دقة أكبر بالنسبة للآيات الأخرى؛ إذ أنّ ظاهر الآية واعتماد الصرف على الجزء أو على المصطلحات الخاصة فيها كـ «ضرب الرقاب» و«شدّ الوثاق» يسوقنا إلى أنّ في القرآن الكريم فكرة العناد والعنف وأنّ الإسلام دين الإرهاب وينتهي إلى الفهم الناقص من النص القرآني ويثير مظان الظن وسوء التعبير من جانب الذين في قلوبهم مرض وزيف.

على ضوء نظرية الدور الهرمينوطيقي لشلاير ماخر وفهم دور الجزء والكل في الساحة اللغوية يمكن القول بأنّ هذه الآية ترتبط مع آيات أخرى ويتحقق معناها الصحيح من خلال النظر في كلّ السورة وكلّ أجزائها، حيث تشتمل هذه السورة على موضوعات مختلفة تدور جملتها على معنى نهائي كلي يزيل شبهة وجود الإرهاب والعنف في الإسلام؛ كما يمكن تقسيم الموضوعات الموجودة في هذه السورة إلى أقسام مختلفة كما تأتي في الجدول التالي:

تحليل فلسفة محتوى سورة محمد مع رعاية الأصل «دور الجزء والكل في الساحة اللغوية»			
الغرض الآخر؛ آية ٣٣-٣٨ ترغب المؤمنين للجهاد في سبيل الله	الغرض الثالث؛ آية ١٦-٣٢ الكشف عن الوجوه الحقيقية لأعداء الله وأعمالهم الشنيعة	الغرض الثاني؛ آية ٧-١٥ تمتع المؤمنين بالنعم الإلهية	الغرض الأول؛ آية ١-٦ المقابلة مع أعمال أعداء دين الله
الموضوع الأول؛ آية ٣٣-٣٥ مضرات الضعف في الجهاد	العمل الأول؛ آية ١٦-١٩ الإهانة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعاليمه	المكافئة الأولى؛ آية ٧-١١ الفتح للمؤمنين والفشل للمنافقين	المطلب الأول؛ آية ١-٣ بطلان طريق المنافقين وحقانية طريق المؤمنين
الموضوع الثاني؛ آية ٣٦-٣٨ حب الدنيا من أسباب تكاسل المنافقين	العمل الثاني؛ آية ٢٠-٢٤ القصور في تحمق فريضة الجهاد	المكافئة الثانية؛ آية ١٢-١٤ تمتع المؤمنين بلذات الجنة الخالدة	المطلب الثاني؛ آية ٤-٦ ضرورة الجهاد تجاه المنافقين
	العمل الثالث آية ٢٥-٢٨ التعاون السري مع الأعداء	المكافئة الثالثة؛ آية ١٣-١٤ وقاية المؤمنين من شر الأعداء	
	النتيجة الكلية المستنبطة من أجزاء الآيات؛ آية ٢٩-٣٢ طرق الله تعالى لإثبات ماهية المنافقين نظراً إلى محبة الله تعالى تجاه المؤمنين		

يظهر في الجدول السابق من منظر الدور الهرمينوطيقي، أنّ المعنى الكلّي الذي قصده الله تعالى من خلال الإتيان بهذه السورة، هو ذكر طرق الله تعالى سبحانه لإثبات ماهية المنافقين كما يستنبط من خلال تقسيم فحوى كلّ آيات هذه السورة وهو الدور الكلّي الهرمينوطيقي الذي علينا أن نستخرجه من بطن هذه السورة. وأمّا المعاني الجزئية التي تستخرج من تحليل مضمون هذه السورة، فهي ترغيب المؤمنين للجهاد في سبيل الله، والكشف عن الوجوه الحقيقية لأعداء الله ولأعمالهم الشنيعة، وتمتع المؤمنين بالنعم الإلهية والمقابلة مع أعداء دين الله عزّ وجلّ (حسيني الهمداني، ١٣٨٠: ٤٢)؛ بتعبير آخر يحصل الدور الكلّي الهرمينوطيقي المرکز في هذه السورة أي

فكرة ذكر طرق الله سبحانه لإثبات ماهية المنافقين من مجموعة الأفكار الجزئية الموجودة في النصّ.

كما يبدو أنّ هذا المعنى الكليّ المستنبط من آيات هذه السورة، يعارض من حيث المعنى مع ما يقصد منها في تفسير هذه الآية بوجود العناد والعنف في الإسلام، وينسبون من خلال تفسيرها الظاهري الرؤية الإرهابية إلى الإسلام؛ لأنّ سعة رحمة الله تعالى تقتضي أن يتعلّم الإنسان ما يمكن أن لا يعرفه خلال حياته من معرفة صفة الذين يتظاهرون في عملهم ويكونون في قلبهم بذور النفاق والجدال؛ حتّى يأتي بآيات تشير فيها إلى صفات المنافقين (خامه، ١٣٩٢: ٢٤).

من المستنبط أنّ الله تعالى لا يريد في هذه الآية أن يتحقّق عملياً أمره إلى ضرب رقاب المنافقين وشدّ وثاقهم؛ بل يريد أن يربّع المنافقين ويهدّدهم بتنكيدٍ أشدّ حتّى يستيقظ المنافقون من جهلهم ويهتدوا إلى الصراط المستقيم؛ كما أنّ الله الرّحيم بوصف رحمانيّته لا يأمر عباده بقتل المنافقين مباشرةً دون إعطاء فرصة الجبر لهم بل يمهلهم ويعطيهم فرصةً جديدةً عسى أن يعودوا إلى أصل دينهم؛ ثمّ أنّ هذه الآية لا يجوز أن تنحصر في المعنى الظاهري الدالّ على العنف، بل يجب أن تربط المعاني الجزئية في هذه الآية وشقيقتها بالمعنى الكليّ الذي يستنبط من كلّ السورة. أهمية هذا المعنى إلى حدّ نستطيع أن نقول المعنى الكليّ من هذه السورة بوصفه معنىً جزئياً من كلّ القرآن الكريم، يتلائم مع المعنى الكليّ في القرآن؛ كما أنّ إثبات ماهية المنافقين للمسلمين هدفٌ هامٌّ يتناسب مع المعنى الكليّ من وراء نزول القرآن وهو إرشاد البشر. إنّ تجزئة محتوى كلّ السورة إلى أجزاء صغيرة ودراسة العلاقات بينها للوصول إلى المعنى الكليّ المستنبط منها هي عمليةٌ ضرورية في فهم دور الجزء والكلّ في الساحة اللغوية ويمكن لنا الفهم الصحيح والمنطقي من النصوص الدينية ولاسيما القرآن الكريم.

٢-٢. فهم شخصية المؤلف وفهمها الزماني والمكاني:

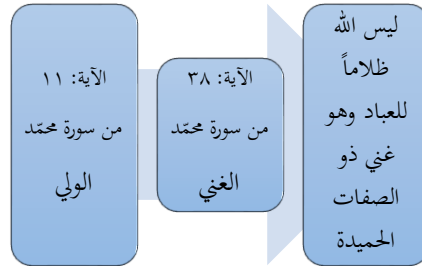
ومن القضايا الهامة في الدور الهرمينوطيقي لشلاير ماخر هي فهم شخصية المؤلف وفهمها الزماني والمكاني (Schleiermacher, 1838: 86). في هذا النوع من الدور الهرمينوطيقي نرى نفس المعادلة الدورية المتحالية في دور الجزء والكلّ؛ فإنّ الكلّ الموجود في هذه المسألة هو شخصية المؤلف وفهمه الزماني والمكاني، والأجزاء فيها هي المعاني المنتشرة في كل النصوص الدينية التي تتصل بالمعنى الكليّ المقصود من النصّ. ثمّ إنّ إدراك العبارات الكلامية في مجال اللّغة، يعتمد على فهم اللغة

واستعمالاتها في دور الجزء والكل كما أشرنا إليه في النوع الأول من الدور الهرمونيوطقي؛ فإنّ في إدراك الشخصية الفردية لصاحب الكلام وفهمها الزماني والمكاني أيضاً، الاعتماد على فهم شخصية الفرد وفهمها الزماني والمكاني (ريكور، ١٣٧٣ ش: ٣).

ملخص القول أنّه لمعرفة ذات الله عزّ وجلّ في هذا الدور، يجب معرفة صفاته والإلمام بها في القرآن الكريم قبل تجزئة صفاته الموجودة في هذه السورة وفي هذه الآية؛ إنّ الله سبحانه يثبت لنفسه هذه الصفات ويدعو عباده إلى معرفة صفاته إذ يقول ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾؛ من ثمّ المعنى الكلّي لجميع صفات الله تعالى هو ذاته المتصف بمجموع الصفات الحسنى في الحقيقة (ابن تركة، ١٣٦٩: ١١٩). نظراً للشبهة الموجودة في هذه السورة وتطبيقاً للدور الهرمونيوطقي لشلاير ماخر، فعلياً أن نعرف أولاً مجموعة صفات المعبود الحقيقي الله عزّ وجلّ في السورة المذكورة بوصفها معنى جزئياً حتى نصل إلى المعنى الكلّي كذلك من صفات الله سبحانه. كما هو واضح في المؤشّر التالي:

محمّد والترتيب الدوري فيها

صفات الله تعالى في سورة



صفات الله المذكورة في هذه السورة هي الوليّ والغنيّ اللّتين أشير إليهما في الآيتين ١١ و ٣٨ من هذه السورة^١ وهذه الصفات كأنّها مقدّمة للوصول إلى المعنى الكلّي في هذه السورة وهو أنّ الله ليس ظلاماً للعباد وهو الغني ذو الصفات الحميدة وهذا المعنى الكلّي في السورة تمهيد للمعنى

^١ . سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

^٢ . ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ و«هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُؤْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ».

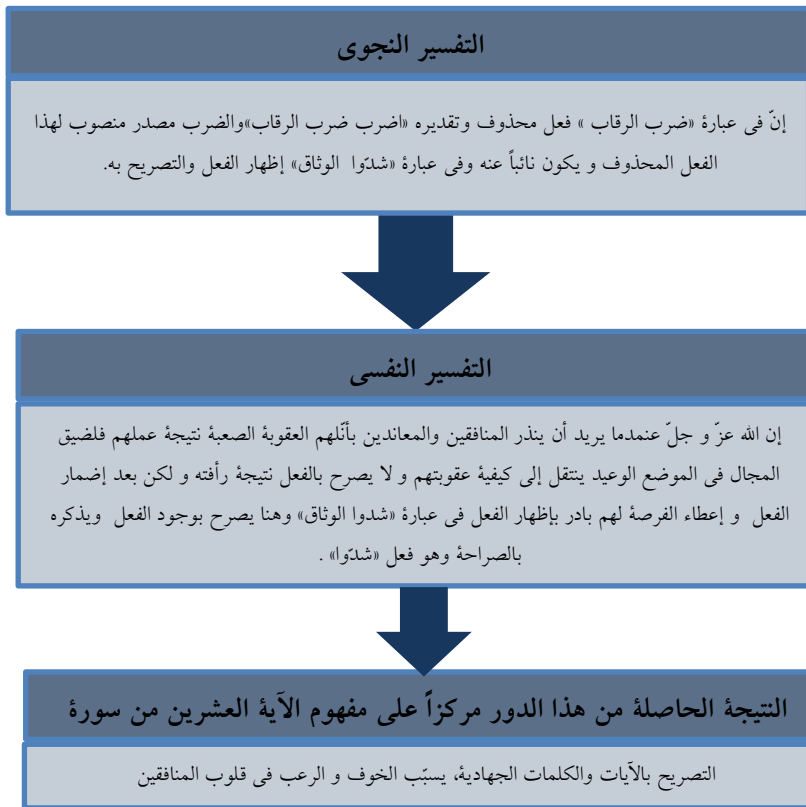
الكليّ من ذكر صفات الله تعالى في كلّ القرآن وهو ذاته المتصف بجميع الصفات الحسنى. وسبق القول بأنّ الشبهة المطروحة بالنسبة إلى هذه الآية هي أنّ الإسلام دين الإرهاب والعنف وليس فيه أيّ إشفاق ورأفة تجاه المعاندين! فالإجابة هي أنّ ذكر صفات الولي والغني في هذه الآية دالّ على أنّ الله سبحانه منزّهة عن نسبة أيّ عنف وعناد إليه ولا تتناسب نسبة العناد والعنف والإرهاب إلى الله مع هاتين الصفتين لأنّه الله ذو رحمة واسعة وكأب رحيم يرشد عباده ويهديهم إلى الصراط المستقيم؛ فكيف يمكن أن يكون أمره بالجهاد والقتال تجاه المنافقين مع الدلالة الظاهرية للعبارتين «ضرب الرقاب» و«شدّ الوثاق»، أمراً حقيقياً واجباً، بل جاء استعمال هاتين العبارتين تعبيراً مجازياً لا يتحقّق معناهما إلّا عبر النظر في الدور الجزئي والكليّ في هذه السورة. هنا يجب الالتزام برأي الجرجاني في نظريته اعتقاداً بأنّ اللفظة المفردة تكتسب قيمتها البلاغية من السياق الذي تستخدم فيه وتناسب مع ما يجاورها من ألفاظ وتتلائم معنى اللفظة التي تليها (الجرجاني، ١٤٢٢: ٤٩)؛ وهذا الأمر كما أسلف قوله لا يتحقّق إلّا من خلال فهم الدور الجزئي والكليّ ومن خلال فهم شخصية صاحب النص وفهمها الزماني والمكاني.

٣-٢. فهم الدور بين منهجي التفسير النحوي والنفسي:

يعتقد شلاير ماخر بأنّ للغة تأثيراً على نفس البشر وعلى نظريته، وحين يفكر الإنسان كأنّه يتكلّم وإنّ الفكر ليس شيئاً غير اللغة، لهذا السبب أنّ كل شخص لا يستطيع أن يفكر إلّا في دائرة لغته، من ثمّ أنّ التفسير النفسي - وهو فهم معنى الكلام بناءً على تفكيره - يعتمد على تفسير نحويّ وهو فهم معنى الكلام بناءً على لغته (Schleiermacher, 1838:48). بناءً على هذا الرأي يمكننا أن نقول إنّ مجموعة اللغات في العالم تتبع من أفكار وآراء متكلميها كما أنّ اللغة بعطبيعتها تنمو ويحدث فيها مجال للتغيير والتطور. لذلك بمقدورنا الاستنتاج بأنّ التفسير اللغوي يعتمد على التفسير النفسي وهذا الأمر هو نفس تفسير شلاير ماخر في الساحة اللغوية (ساجدى، ١٣٩١: ٥١).

جدير بالذكر أنّ هذه الآية الشريفة بوصفها إحدى الآيات التي ركّزت على مفهوم الجهاد في سبيل الله سبحانه كالأية التالية ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَعْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ هُمُ﴾ (حمد/٢٠)، تشتمل على معان جزئية خاصة يمكن الوصول إلى فهم منهجها النفسي من

خلال تحليل فلسفتها والنظر في الدور الهرمنوطيقي الموجود فيها إلى حد يتعين فيها المنهج النحوي والتفسيري، وفي النهاية يصل هذا المنهج إلى نتيجة حاصلة من هذا الدور كما جيء بها في الجدول التالي:



يبين لنا من خلال الجدول السابق أنّ التفسير النحوي والنفسي لهذه الآية، يرفض فكرة الإرهاب والعنف في الإسلام؛ فإنّ الله تعالى لم يصرّح بالفعل المذكور في كلامه الجهادي لأول مرة نتيجة لإمكان العفو والتسامح من خطأهم في القصور عن الرجوع إلى الإسلام؛ ولكن في العبارة الثانية وهي «شدوا الوثاق»، يصرّح بالفعل بعد أن أتاح لهم الفرصة ولم يغتنموا بعد عنادهم وجموحهم تجاه الدين؛ من ثمّ نظراً لهذا الدور الهرمنوطيقي أنّ نظرة الله تعالى في هذه الآية نظرة إيجابية لا تتوافق مع وجود أيّ عناد وعنف وإرهاب في الإسلام وبالعكس يرغّب المسلمين في التسامح

تجاههم حتى يردوا إلى السواء السبيل، وهذا شيء لا يوجد في نفس هذه الآية فحسب، بل يوجد في كل القرآن الكريم أيضاً.

النتيجة:

١. إن فلسفة اللغة تعبير مباشر عن التفاعل بين الخطاب النفسي واللغة، من هنا يمكن تعبيرها بفلسفة التفكير في اللغة؛ فإنّ الهرمونيقياً أيضاً من المباحث الكلاسيكية التي عرفت الفلسفة منذ القديم؛ وإنّ التركيب والتزواج بين هذين التعبيرين مسألة لفهم النصوص المختلفة التي فيها موانع لإدراك المعنى الرئيس المتأفريقي. وحدير بالذكر أنّ هذا التمازج نفسه هو أمر يساعد على اخضاع اللغة للفلسفة؛ من ثمّ ينبغي أن يُنظر إليه كقضية هامة يمكن أن تحلّ بها المشاكل اللغوية خاصة في مجال علم اللغة. نظراً لأهمية هذه الفلسفة اللغوية في الهرمونيقياً وأثرها في فهم المعاني الكامنة وراء النصوص الدينية وأهمية مسألة الدور الهرمونيقي لشلاير ماخر وشيوع كثرة الشبهات الأخيرة حول المعاني المتأفريقية في القرآن الكريم من جانب المعرضين، خاصة في الآية الرابعة من سورة محمد كشبهة وجود الإرهاب والعنف في الإسلام، قمنا بإبراز هذه النظرية في الساحة اللغوية حتى يمكن رد الشبهة ودفعها عن طريق تحليل علمي دقيق ومستدلّ تطبيقاً لهذه النظرية الشهيرة دون نظرة ترمّية في هذه الآية.

٢. الدور الكلّي المستنبط من الدور الجزئي أي طرق الله لإثبات ماهية المنافقين، يخالف فكرة الإرهاب والعنف في الإسلام. وبالنسبة إلى صاحب كلام الوحي وفهمه الزماني والمكاني، يمكن القول بأنّ ذكر صفات الولي والغني في هذه الآية، دالّ على أنّ الله سبحانه منزه عن نسبة أيّ عنف وعناد تجاه المنافقين مع الدلالة الظاهرية للعبارتين «ضرب الرقاب» و«شدّ الوثاق». ومن خلال التفسير النحوي والنفسي لهذه الآية، لم يصحّ بالفعل المذكور في كلامه الجهادي لأوّل مرة نتيجة لإمكان العفو والتسامح من خطأهم في القصور عن الرجوع إلى الإسلام، ولكن في العبارة الثانية وهي «شدّوا الوثاق»، يصحّ بالفعل بعد أن أتاح لهم الفرصة. فتطبيق هذه الآية مع الدور الهرمونيقي لشلاير ماخر، يزيل شبهة وجود الإرهاب والعنف في الإسلام والقرآن.

٣. من المستنبط أنّ مفاد هذه النظرية كان موجوداً في التراث الإسلامي خاصة في دراسات العالم البلاغي النحوي عبدالقاهر الجرجاني، الذي وصل إلى نتفات خلال دراسته للغة ومساائلها في نظريته الموسومة بنظرية النظم، وهذا الأمر نفسه يفتح باباً واسعاً أمام الباحثين حتى يجدوا

الحدود المشتركة بين هذين اللغويين في نظرية الدور الهرمونيقي وأن يضعوا معايير خاصة لفكرة الدور الهرمونيقي عند الجرجاني والآخرين.

المصادر

القرآن الكريم

- ابن تركه اصفهاني، صائن الدين (١٣٦٩)، تمهيد القواعد، طهران: مجمع الفلسفة والكلام.
- أبو زيد، نصر حامد (٢٠٠١)، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، مغرب: المركز الثقافي العربي.
- _____ (١٩٨٣)، فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي، بيروت: دار التنوير.
- _____ (٢٠١٤)، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- بارت، رولان (١٣٨٧)، در آمدی بر تحلیل ساختاری روایتها، ترجمة محمد راغب، تهران: نشر رخداد نو.
- بهرامي، محمد (١٣٨٩)، «دور هرمتيكي در نگاه هرمنوتيستها و تفسیرگران قرآن»، مجله‌ی پژوهش‌های قرآنی، مشهد، سال ١٦، شماره ٣، صص ٣٤٤-٣٦٢.
- الجاحظ، أبو عثمان (١٩٦٥)، الحيوان، القاهرة: مكتبة الجاحظ.
- جاسبر، ديويد (٢٠٠٧)، مقدمة في الهرمينوطيقا، ترجمة: وجيه قانصو، الدار العربية للعلوم.
- الجرجاني، عبد القاهر (١٤٢٢)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، القاهرة: دار الكتب العلميّة.
- حسيني الهمداني، محمد (١٣٨٠)، انوار درخشان در تفسیر قرآن، تهران: لطفی.
- الحيدري، السيد كمال (٢٠٠٦)، تأويل القرآن، قم: دار فراق.
- خامه گر، محمد (١٣٩٢)، ساختار سوره‌های قرآن كريم، قم: نشر.
- خلفي، بشير (٢٠١٠)، الفلسفة و قضايا اللغة، قراءة في النصوص التحليلي، الجزيرة: منشورات الإختلاف.
- خليفة، داود (٢٠٠٨)، فلسفة اللغة والتأويل، مقاربة إبستيمولوجية، الجزيرة: منشورات الخليلي.
- خير الدين، فلاح (٢٠١٥)، «قواعد القراءة الهرمينوطيقية للقرآن الكريم عند نصر حامد أبي زيد»، مجلة فتوحات، بيروت: العدد ٢٣، صص ٤٥-٦٤.
- ساجدي، ابوالفضل و زملائه (١٣٩١)، «نقد مباني هرمنوتيكي شلاير ماخر»، فصلنامه‌ی كلام اسلامي، قم: شماره ٨١، صص ٢٩-٦٠.
- شلاير ماخر، فريدريك (٢٠١٧)، خطابات لمحتقره من المثقفين، بيروت: دار التنوير.

تحليل الفلسفة اللغوية في الآية الرابعة من سورة «محمّد» روح الله صيادي نژاد، علي نجفي أبوكي، كيميا فتحى

عباس، إحسان (١٩٨٣)، تاريخ النقد العربي عند العرب، بيروت: دار الثقافة.

عبدالبديع، لطفي (١٩٩٧)، متافيزيقيا اللغة، مصر: الهيئة المصرية للعالم.

عبد الرحمن، عبد الهادي (٢٠٠٣)، سلطة النص، قراءات في توظيف النصّ الديني، الإسكندرية: الانتشار العربي

. فندريس، ج. (١٩٥٠)، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

فيدوح، عبدالقادر (٢٠١٣)، «نظرية التأويل في الفكر العربي»، مجلة الأبحاث، جامعة البحرين، السنة ٤، العدد ١٦، صص ١-٢٩.

كاظمي، علي اصغر (١٣٧٤)، روش و بينش در سياست (نگرش فلسفي، علمي و روانشناختي)، تهران: دفتر مطالعات و تحقيقات سياسى و بين المللى وزارت امور خارجه.

الكردي، عبد الرحيم (٢٠٠٨)، قراءة النص مقدمة تاريخية، القاهرة: مكتبة الآداب.

غادامير، جورج (٢٠٠٦)، فلسفة التأويل، الأصول، المبادئ والأهداف، ترجمة: محمد شوقي الزين، مغرب: دار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

غريب، حسين (٢٠١٥)، تأويلية فردريك شلايرماخر والبحث عن الحقايق المضمرة في النصوص، نشر التآخي.

كوزنخوى، ديويد (١٣٧١)، حلقة انتقادي، ترجمه: مراد فرهادپور، تهران: انتشارات گيل.

محمد مهرا، رشوان (١٩٩٨)، دراسات في فلسفة اللغة، الكويت: دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع.

مشكاني سبزواري، عباسعلي وزملائه (١٣٩٣)، «دور هرمينوتيكى شلاير ماخر، جيسي، كاربردها ونقدها»، مجله معرفت، قم، سال ٢٣، شماره ٢٠٦، صص ١١٧-١٣٤.

- مصطفی، عادل (٢٠٠٧)، **فهم الفهم: مدخل إلى الهرمنوطيقا**، القاهرة: دار الرؤية.
- مورن، ادگار (١٣٩١)، **روش شناخت شناخت**، ترجمه‌ی علی اسدی، تهران: سروش.
- موسوی، سید محمد (١٣٨٦)، «درآمدی بر هرمنوتیک و انواع آن»، **پیک نور**، تهران، شماره‌ی ٤، صص ٥٠-٥٦.
- نیکویی، علیرضا (١٣٨٦)، «دور هرمنوتیکی و نقش آن در مطالعات ادبی، فهم و نقد متون»، **فصلنامه‌ی ادب پژوهی**، گیلان: شماره‌ی ٣، صص ٣٩-٦٠.
- واعظی، اصغر و اسماعیل قاندي (١٣٩٣)، «سطوح، مؤلفات و کارکردهای دور هرمنوتیکی»، **نشریه‌ی فلسفه**، تهران: شماره‌ی ٢، صص ١٠٧-١٢٥.
- هوی، دیوید کورنیز (١٣٧٨)، **حلقه‌ی انتقادی**، ترجمه: مراد فرهادپور، تهران، روشنگران و مطالعات زنان.
- یورگن، هابرماس (١٣٧٥)، **نقد حوزه‌ی عمومی**، ترجمه: حسین بشیریه، تهران: نشر نی.

Malcolm, Norman (1997), **Wittgenstein: a Religious point or view**, London: Routledge.

Rorty, Richard (2005), **His Philosophy under discussion**, Andreas vieth.

Schleiermacher, Friedrich (1838), **Hermeneutics and Criticism and Other Writings**, Tr. Andrew Bowie, Cambridge.

تحلیل فلسفه زبانی آیه چهار سورة محمد

(بر اساس نظریه دور هرمنوتیکی شلایر ماخر)

روح الله صیادی نژاد*^۱، علی نجفی آیوکی^۲، کیمیا فتیحی^۳

۱. دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه کاشان

۲. دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه کاشان

۳. دانشجوی دکتری زبان و ادبیات عربی دانشگاه کاشان

چکیده:

استفاده از نظریه‌های فلسفی، گامی نو در شناسایی و کشف لایه‌های پنهان معانی مورد نظر است. هرمنوتیک به عنوان یکی از شاخه‌های تفسیر عصر جدید، با در برداشتن مفهوم دور هرمنوتیکی، نقش مهمی در تحقق بخشیدن به اهداف فلسفه متافیزیک و کشف معانی پنهان متن دارد. شلایر ماخر از این نظریه برای حذف موانع درک زبان‌شناختی در زبان‌شناسی استفاده کرد. قرآن کریم به خصوص آیه چهارم سوره محمد، مورد شبهه واقع بوده است. بر اساس دور هرمنوتیکی، دور کلی مستنبط از دور جزئی، یعنی راه‌های خدا برای اثبات منافقین، خلاف ایده تصور تروریسم و خشونت در اسلام است. در ارتباط با شناخت صاحب کلام وحی و فهم زمانی و مکانی وی، ذکر خصوصیات ولی و غنی در این آیه نشان می‌دهد که همانا ذات متعال از هرگونه خشونت و سرسختی نسبت به منافقان، با توجه به عدم معنا نمودن ظاهری کلمات «ضرب الرقاب» و «شدّ الوثاق»، به دور است. از طریق تفسیر نحوی و روان‌شناختی این آیه، آن چه در گفتار جهادی این آیه آمده، برای اولین بار در نتیجه احتمال آموزش و بخشش به دلیل احتمال عدم بازگشت منافقان به اسلام بیان نشده است، اما در عبارت دوم، «شدّ الوثاق»، پس از دادن فرصت به آنها، به صراحت بیان شده است؛ همچنین درمی‌یابیم که جرجانی در نظریه نظم خود به جزئیاتی از این نظریه دست یافته است.

کلید واژه‌ها: سوره محمد، فلسفه زبان شناسی، متافیزیک، دور هرمنوتیکی، شلایر ماخر